خطبة صلاة الجمعة 26/ 7/ 2019 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(لبيك اللهم لبيك)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ [الحج: 27، 28]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الحجاج والعمار وفد الله، إن دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم**» [الطبراني].

عنوان خطبة اليوم: **لبيك اللهم لبيك**

أيها الإخوة:

في كل عام، ومع دنو شهر ذي الحجة، ترفرف القلوب شوقاً وتحناناً لبيت الله الحرام.

لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك.

تهفو النفوس لأن تكون محرمة مع المحرمين، ملبية مع الملبين، طائفة مع الطائفين، شاربة ماء زمزم من معينها الثر.

لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك.

نشتاق لرؤية الكعبة وقد أضنانا البعاد، وزاد من آلامنا ما حل بالبلاد، وحيل بيننا وبينها والله بصير بالعباد.

لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك.

تتخفف عند ملتزمها الأرواح مما أثقلها من الذنوب، وتستعيد نورَها وسرورَها القلوب، ويزال من العقول الأفكار الران والأدران واللغوب.

لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك.

ذكر الشيخ الطنطاوي في مذكراته قال: (كنت في مصر وكانت في الجامعة بعثة من الطلاب تستعد لتمضي إلى الحج، فعلق بها طالب يعرفه إخوانه فاجراً، حرباً على الإسلام وأهله مجادلاً لدعاته، فأبوا عليه الصحبة وألح هو راغباً، فخبرني بذلك أستاذ في الجامعة فقلت له: أرى أن تأخذوه معكم فلعل الله قد أذن بصلاحه، فبعث هذه الرغبة في نفسه، فاستبعدَ ذلك، فقلت: إن هذا الطالب –وله أمثال– ممن نشأ على الإسلام ورُبِّي عليه في بيته فرسخ الإيمان في قلبه؛ لأن الإيمان والكفر ومبادئ الخير والشر إنما يكون رسوخها في سن الطفولة والصبا، إنه مؤمن في قرارة نفسه، وإن ضرب الفسق في ظاهره أطنابه ونصب الفجور حوله حبائله، فضعف الدعوة إلى الحق وقوة الدعوة إلى الباطل هي التي صارت به إلى هذا المصير، إنه طلاء إذا سطعت عليه شمس الحجاز أذابته فكأنه ما كان.

وأخذوا برأيي وصحبوه، ولما رجعوا ولقيت هذا الأستاذ قال لي: لقد كان ما قدَّرت، ولكنه كان شيئاً عجيباً دَهِش له كلُّ من كان معنا، حتى الطالب نفسه، فإننا ما بلغنا حدود الحرم ونزعنا ثيابنا حتى تبدل نفساً بنفس كأنما نزع مع الثياب دنياه من قلبه وأفكارَ السوء من رأسه، وترك الباطل الذي كان يحيا فيه، وعاد الفتى المؤمن يجهر بلبيك اللهم لبيك أكثرَ من جهرنا، ويخشع لها أشدَّ من خشوعنا، فحسِبنا ذلك تظاهراً منه وتزلُّفا إلينا، حتى إذا بلغنا باب الحرم وبدت لنا الكعبة غلبت عليه حال يستحيل أن تكون تصنُّعاً وتمثيلاً ورح يبكي وينشِج، حتى لقد أبكانا، ثم كان أكثرنا صلاة وطوافاً واستغراقاً في العبادة).

قلت: هذا أثرُ الحرم في نفس المسلم.

لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك.

يا أيها المسجد الحرام؛ زاد شوقنا إليك فمتى إليك نعود، ومتى ندخل في موكب الطائفين الذي لم يتوقف في حر ولا في قر، لا في ليل ولا في نهار، لا في حرب ولا في سلم، إن كل مواكب الدنيا تسير

لتتوقف إلا موكبَ الطواف حول الكعبة المشرفة فهو في حراك مستمر، وتسبيح وتحميد وتمجيد لله تعالى إلى أن يرث الله الأرض.

أخرج الإمام البيهقي في الشعب عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول: «**من طاف بالبيت سبعا وركع ركعتين كان كعِتَاق رقبة**» وأخرج عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله عز وجل يباهي بالطائفين**».

لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك.

يا أيها المسجد الحرام؛ متى تتزاحم الأكتاف في الطواف! بعد تدابر وتتقارب القلوب، بعد تنافر وتتجمع الجهود بعد تبعثر، فهاهنا الشام ومصرُ والحجاز والصين وفرنسا، وهاهنا الشرق والغرب.

يطوف الأبيض والأسود، والواجد والفاقد، والقوي والضعيف، بثوب واحد وحركة واحدة وبتوجه واحد: نحن يا رب عبادك محتاجون إليك، فعلمنا كيف نعيش بدينك لنسعَدَ ونُسعِد، فإن الأرض ملتهبة وإن الناس مضطربة.

دخل ربعي بن عامر بثياب صفيقة وترس وقوس قصيرة على رستم قائد الجيوش الفارسية، وكان رستم يجلس على سرير من الذهب وقد زين مجلسَه بالنمارق والزرابي والحرير واليواقيت واللالئ الثمينة، فقال له رستم: ما جاء بكم؟ فقال ربعي: اللهُ ابتعثنا لنُخرج من شاء من عباده من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

لبيك اللهم لبيك، عَلِّمنا كيف نَسعدُ بدينك ونُسعِد.

أيها الإخوة:

التلبية لغةً: إجابة المنادي، فمن ناداك قلت له لبيك، أي أجبتك وبادرت إليك.

ولم يستعمل في تلبية الحج إلى لفظ لبيك على التثنية والمراد بها التكثير، ومعنى (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك) أن إجابتي لك يا رب، وسأجيبك إجابةً بعد إجابة، ومرة بعد مرة، إلى ما لا نهاية، سأجيبك وحدك وسأجيب كلَّ من يقربني إليك، ولن أجيبَ أحداً يبعدُني عنك أو يأخذُني بعيداً عن امتثال أمرك.

والتلبية وإن كانت شرطاً في إحرام الحاج عند أبي حنيفة، مسنونةً عند غيره، فإنها شعار المؤمن في حياته كلها، يطيع ربه مرة بعد مرة، ويستجيب له إجابه بعد إجابة، وهو في ذلك يطيع كل من أعانه

على طاعة ربه، ولا يستجيب لكل من يدعوه لمعصيته، وإن فاته شيء من ذلك استدرك، وإن نسي ثم ذُكِّر تذكر وإن عصى ندم وتاب.

تزوجا منذ خمس سنين، وكل منهما على درجة من الأدب والخلق والدين، لكنهما فوجئا باختلاف كبير في طباعهما، فهي محبة للحركة والتنقل والنشاط، وهو محب للسكون والهدوء والثبات، هي بصرية يغريها ثيابه الجديدة وألوانه الزاهية، وهو رتيب يراعي في مظهره موقعه الوظيفي ومكانته الاجتماعية وقدرته المالية.

حاول أن يقترب منها شيئاً وحاولت لكنهما لم يفلحا، دخل المصلحون بينهما لكنهم لم يفلحوا، قررا أن يصبرا وإن اختلفا فاستطاع ولكنها لم تعد تطيق التحمل.

ذهبت لبيت أهلها ثم رفعت دعوى تريد التفريق، وعلم هو بالأمر، ومع أساه وحزنه طلب إليها أن يكون الأمر مخالعة حتى لا تتعبها إجراءات الطلاق؛ لأنها في المحاكم أطول، وتعهد لها أن يدفع حقوقها كاملة، وقد أخبره بعض من حوله أنه من حقه أن يلزمها بالتنازل عن بعض المقدم والمؤخر؛ لأنها هي طالبة الطلاق، ولكنه قبل نزولهما لتبادل ألفاظ المخالعة في المحكمة بيوم واحد ذهب إلى بيت أهلها وأوصل لها المقدم والمؤخر كاملاً، مع هدية يجبر بها كسرها، وترك كسره لربه ليجبره بمنه.

إن شعار المؤمن تلبيةُ أمر ربه في عسره ويسره وفي منشطه ومكرهه.

لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك.

دفع أحد أقاربي فاتورة الكهرباء في الكوة المخصصة لذلك خمس عشرة ألف ليرة سورية، ولما عاد للدفع بعد شهرين قال له الموظف: ألست الذي راجعتنا قبل شهرين وكانت فاتورتك خمس عشرة ألفا؟ فقال نعم، فنرع الموظف لصاقة من على مكتبه فيها صورة فاتورة وألف ليرة وقال: هذه الألف ليرة لك، لما دفعتَ المبلغ في الدورة السابقة ومضيتَ عددتُه فكان ست عشرة ألفاً، فتركت لك الألف ملصقة مع صورة فاتورتك الماضية على طرف المكتب لأعطيك إياها، ورد له الألف.

لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك.

إن شعار المؤمن تلبية أمر ربه وفي منشطه ومكرهه.

أيها الإخوة:

ترك الحرام، وإتقان الفرائض، وأداء ما استطعنا من النوافل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أربعة إن التزمناها كنا من الملبين لأمر ربنا وكنا من أهل الثواب العميم.

لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من حج لله عز وجل فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**» [البخاري ومسلم] وفي رواية: «**غفر له ما تقدم من ذنبه**».

والحمد لله رب العالمين